قصة (إنفيرنا)

بقلم الكاتبة "أمل جاويش"

إنتهى الحفل ورحل كلٌ بطريقه تاركين خلفهم ذلك الشارد لا يُدرك حدود الزمن، قابعٌ بعالمه، يتسائل كيف سيخرج من هنا!.

وتتقابل أعينه مع تلكَ الفتاة الجالسة على مَقْربة منه تُمسك بيدها كأس ترتشف منه بهدوء وتحمل نظراتها من الثبات ما أربكه للحظات ليتدارك الأمر ويُخفض بصره، وبتلك اللحظة تمر أمامه الأحداث منذ أن إلتقىٰ بعينيها للمرة الأولى و شعر كأنه وجد ضالته حتىٰ تلك اللحظة التي يجلس بها أمامها وتُحيطهم أسوار سجنه، حيث تقبع أسوء كوابيسه، أو أظنه أسوء!.

- روزيانا: شكل خيالك سافر بيك تاني، متفكرش مفيش هروب.
- قاسم: ياريتني مشيت وقت ما كان ممكن، أظن أنانيتي وإقتناعي بحبك هما اللي وصلوني لهنا!.
- روزيانا: حذرتك من حبي، لأن لعنتي مش هترحمك وأنتَ أختارت.
- قاسم: للأسف عندك حق، الكل مشي فياريت ندخل وكفاية تمثيل لليلة.

ينهضا ويسيرا سويًا للداخل، لذلك المنزل الكبير ذو التصميم الهندسي الفريد، والذي تحول فور دخولهم إليه لقصر فِرعوني قديم جُدرانه مُتماسكه رغم عُمرها الطويل و طِلائها المُتساقط، ليجلس ويتمدد بتعب على أقرب أريكة له، وتدلف هى للداخل.

بعد مرور بعض الوقت يغفو صاحبنا مكانه ولتبدأ اللعنة كما العادة، ومن الأفضل لو ننقلها على لسانه!.

قاسم..

أترك جسدي مُمددًا وأرحل، أنظر حولي وأُسلط نظري على ذلك الدرج الطويل والذي ينبغي أن أتسلقه، نعم هو يبدو كالجِدار وللدِقة لا شيء هُنا طبيعي.

مع كل خطوة أخطوها أشعر بسقوط ما حولي وكأنني ببساطة أنتقل لعالمٍ آخر، صراحةً أنا بالفعل أعبر للعالم المُوازي والذي أدركت بعد مرور الوقت أنه ما تنتمي إليه زوجتي العزيزة وأني أمكث بالمنزل الذي هو نقطة الإلتقاء بين عالمنا وعالمها، يآل غبائي وحظي العثر من بين نساء العالم أجمع يقع إختياري على تلك المحتالة والتي لا أعلم كيف استطاعت العيش بيننا بطبيعية هكذا!.

يالها من تفاصيل مملة أتذكرها كلما صعدت هنا حتى أخفف من مُدة الصعود تلك، فلا أُخفيكم سرًا هذا الوقت يمر ببطأ شديد حين تشغل بالك به.

وها أنا أصل لذلك الباب السحري أمامي والذي يتفنن كل يوم بجُمل غامضة تُكتب عليه وأقرأها أنا حتى يُفتح، أتتذكرون فِقرة حكمة اليوم والتي كانت بالإذاعة المدرسية ونحن صغار حين كان هُناك مدارس!، إنها تُشبهها ولكن وظيفتها كَكلمة أفتح ياسمسم للمغارة، والاختلاف أنه هنا لا يوجد أربعين حرامي بل مئات من المسوخ والأشخاص والأشياء التي أُحاول جاهدًا عدم النظر إليها!.

كانت النقوش على الباب تُشير لِعبارة..

(يبدأ الجحيم من النعيم فأحذر ما تراه).

فُتح الباب وحده حين قرأت ما عليه و وجدتني بالسماء، يال العجب يبدو أني الليلة لن أذهب للجحيم، أقفز على السحاب بالفعل وأغمضتُ عيناي لعلي ألمس الأرض ولكن حين أغلقتهم وجدتني أسقط أكثر ولا إراديًا تخرج مني صيحات عالية لا تدل على شخصٍ واجه ما هو أسوء وأغرب ولكن الخوف لا يتقلص كل مرة بل أظنه يزداد!.

أسمع صُراخ عالٍ حولي، أظنه صوت عذابهم وأعتقد أن الجحيم بإنتظاري أسفل يال الروعة!.

لأفتح عيناي، السحاب تحول لظلام دامس لا أرى سوى رسوم تتحرك حولي، يقتربون مني ويضربونني وأنا أشعر، نعم أشعر بآلام مُبرحة أكاد أُفارق الحياة من شِدة الألم ولا أرى وجوه فقط أنماط تتحرك حولي، حاولت الهرب ولكن لا طريق أسلكه، أستمر الأمر حتى شعرت بإعياء شديد وأظنني فقدت الوعي لفترة!

استيقظتُ ولا أدري كم من الوقت مضى، لازلت أشعر ببعض الألام بجسدي، لأجدني مُستلقي على أريكة بمنزلٍ صغير ولكنه جميل، وتجلس بجواري زوجتي.

- قاسم: آاااه إحنا فين؟!
- روزيانا: في بيت مُزارع قُريب من مكان وصولك، ولأنك كنت مش قادر تمشي، جبتك هنا لغاية ما تفوق.
- قاسم: لإمتى هيستمر العذاب دا؟!، وكمان مكونتش أعرف إن فيه بعالمكم مُزارعين.

- روزيانا: أنتَ عارف إزاي ينتهي العذاب لو حابب، عالمنا نسخه متطورة من عالمكم وهتكتشف دا بنفسك، عندنا كل اللي تمتلكوه بالإضافة إننا أذكى من جنسكم البشري الضعيف.
- قاسم: وطالما جنسنا ضعيف ليه كسرتي قواعد عالمكم وجازفتي واختارتي تعيشي وسطنا؟!
- روزيانا: تقدر تقول فضول، بالإضافة لإنه لازم تعرف خصمك كويس علشان تقدر تهزمه ببساطة، وأنا اختارت الصعب علشان شعبي و وطني لازم يكونوا الأفضل!.
- قاسم: ولما أنتي في مهمة وطنية زي ما بتقولي، ليه اختارتيني أنا و جبتيني هنا؟!
- روزيانا: أقولك سر محدش هيعرفه غيرك، أنا جيت لعالمكم علشانك أنتَ، ولأني بحبك!
- قاسم: بتحبيني فتقومي تجيبيني للجحيم بعد ما أوهمتيني بحبك، عظيم الحب اللي بيقتلني بالبطيء دا!!.
- روزيانا: ياريت نكون متفقين إنك أنت اللي رافض تيجي معايا وينتهي كل العذاب دا.
- قاسم: و أنتي إزاي تفتكري إني ممكن أقبل أجي أعيش معاكي في جحيمك الأبدي!، أنا بشر لحم ودم هعيش إزاي وسطكم وأخالف طبيعتي وحياتي؟!
- روزيانا: ولو فضلت رافض هيستمر العذاب وأنا مش هقدر أساعدك، أنا عملت المستحيل علشان يوافقوا على وجودك هنا ولو مرجعتش معايا وكنا سوا هيزيد عذابك بأبشع الطرق،

ومتنساش بينا عهد مش هتقدر تهرب منه، هتفضل عمرك كله ميت على قيد الحياة!.

- قاسم: كل اللي حصل مبني على كدب، ليه تخدعيني بالشكل دا لو كنتي زي ما بتقولي بتحبيني؟.
- روزيانا: لأني ببساطة مقدرش أعيش من غيرك مهما كان التمن ولو حتى كان حياتك وحياتي!.

وتنهض دون أن تُعطي له فرصة لإستمرار الحديث غير المُجدي فهى تُدرك عناده وهو يُدرك حبها والذي هو السبب لبقائه حيًا للآن رغم عذابه!.

***

كيف أستسلم للأمر وأبقى بهذا المكان للأبد؟، أظل مُشتت بين عالمين حتى لا أُدرك لأيهما أنتمي، لو كنت أعلم أن أمور القلب ستُهلكني هكذا لما وقعت بالعشق مهما حدث، ولكن هل أكذب على نفسي أم ماذا فأنا أعلم جيدًا أنها ماكانت لتتركني بسلام فالأمر ليس سوى شِرك نُصب لي ووقعت به بكل حماقة!

تحاملتُ على ألام جسدي ونهضت لأخرج من ذلك المنزل، فبالواقع أصبحت أرى كُل ما يُحيطني وكأنه سجن لروحي حتى و إن كان فائق الجمال!.

كان المكان بالخارج يُشبه الفردوس بالمساحات الخضراء والأشجار والنخيل المُنسقة بتصاميم هندسية رائعة وكأنكَ تنظر للوحة فنان

معروف، لا أُنكر أنني أحيانًا أجد هُنا أشياء لا يصل إليها حتى الخيال، سواء كان من الجمال أو من العذاب، هُنا كل شيء خارج حدود الإدراك، بل لا يوجد خيال فكل ما تُفكر به ستجده!.

تتلون السماء باللون الأحمر القاني وكأن السماء تنزف دمًا ولكن دون شمس، فلا شمس أو قمر هُنا و رغم ذلك سمائهم تُنير ولا أعلم بعد كيف ذلك، حسنًا أظنه حان وقت الرحيل من هذا المكان فكما يبدو أن الوقت تخطى السادسة مساءًا عندهم وهو ما يُعادل الصباح بعالمنا حيث حان وقت الإستيقاظ، فعند عودتي أفتح عيناي على ضوء الشمس وكأنني أنتقل للجزء الآخر للكرة الأرضية بلحظات!.

***

أتعلم قولهم أن الروح تنتقل حين ننام لعوالم أُخرى وقد نتذكر بعض مغامراتها على هيئة أحلام أما الباقي فلا نُدركه أبدًا.. لأُخبرك أن هذا يحدث وأنني أشعر بما تفعله روحي حين منامي بل أستيقظ وكأنه أنا من كان هُناك، فـلم أعد أُميز لأي مكان أنتمي!

***

أظن أن عقلي لم يسترح منذ وقت طويل، عجيب أنني لازلت أحمل بذاكرتي مكان لكل تلك الأحداث المُضاعفة فأنا أظنني أبلغ من العمر ضعف عمري لما يحمله قلبي من أحداث وذكريات وألام، وسيظل العقل البشري هو المتاهة واللغز الأكبر على مر العصور والأزمنة!.

إنه الصباح، لازلت بمكاني على تلك الأريكة التي ارتميت عليها أمس لا جديد سوى أن جسدي تكسوه علامات التعذيب والألام المُبرحة، فأنا غادرت الجحيم و لكن أثاره تملأني و لا يُزيلها سوى حمام ساخن عجيب تُعده زوجتي العزيزة وأظنها تضع به أنواع لا أعلمها من الأعشاب أو لنتفق أنه قد يكون إحدى أسحارها، المهم أنه ينتشل الآلام من جسدي و أنا بحاجة له لأُمارس يومًا آخر تحت ضوء النهار، آاه لو تعلمون كم أشتقتُ لرؤية القمر تُزينه النجوم من حوله بتلك السماء الجميلة الهادئة!.

***

حين يُطاردك الأشخاص تختبيء و إن كان بآخر بِقاع الأرض، ولكن أين تختبيء حين يُطاردك أطياف إن ذهبتَ لأبعد مكان تجدهم هُناك بإنتظارك..!

***

«ما رأيكم لو أُخبركم من أنا؟!»

أُدعى قاسم سليمان، ضِمن قائمة أشهر رجال الأعمال بالعالم، أملك مجموعة شركات أُديرها بنفسي للإلكترونيات، تحديدًا بمجال الروبوتات والذكاء الإصطناعي، وأظنكم بدأتم بتخيل كيف تبدو حياتي ولأنني أعلم ما تُفكرون به فسأكتفي وأترك المجال لعقولكم فما تُخبركم به صحيح، ولأن هناك أشياء من الجيد لو لا تصل لعقولكم!.

خرجت منذ قليل من ذلك القصر الذي يبدو منزلي، وأقف الآن أمام مبنى ضخم يبلغ إرتفاعه سبعة وأربعين طابقًا حيث أمكث بالطابق السابع عشر، ولأُخبركم أن الرّقم سبعة هو رقم حظي إن كنتم تُصدقون بتلك الأمور!.

وكما المعتاد دخلت المِصعد المخصص لي لأذهب لمكتبي وضغطت أزرار الطابق المنشود، الآن توقف المِصعد عند رقم سبعة ولا أعلم ماذا حدث، وفُتح الباب..

كهف مهجور يبدو كالمتاهة الحجرية، أقف بجمود أمام ما أراه فكما أظن كانت تلك الأشياء تحدث بالمنزل فقط، ولم يَصدُف أن تغير ذلك، ولكن ما الذي يحدث هذه المرة؟!

«أتتخيلون الأمر، هل يصل إليكم ما أشعر به الآن؟!.»

وها أنا أخضع للأمر وأخرج من المصعد لأكتشف أين أنا، حقًا لقد سئمت الأمر فلم يعد عقلي ينسج الأفكار بل أصبح الواقع يُفاجأني!.

المكان مُظلم ومُخيف وكأنني بعرين أحد الوحوش المُفترسة تلك التي لا نراها سوى بالأفلام الخيالية. أوه يا إلٰهي هل أخبرتكم أن ما تُفكرون به تجدوه!، حسنًا لا وقت للإلتفات أو حتى للحديث بعد هذا الصوت الذي سمعته فقط لأركض بكل ما أُتيت من سرعة، وإلا ضاع ما تبقى مني!.

«ترن ترن ترن»

***

أستيقظُ نتيجة ذلك الصوت وأجدني أتصبب عرقًا، حمدًا لله أظنني نجوت من ذلك الشيء.. لأتطلع حولي ويتوقف عقلي عن الإستيعاب لدقائق، أنا بالبيت!، إنه كابوس حقًا فأنا بسريري ولا شيء حقيقي، كم هو رائع أن ما ظننته حقيقة ليس سوى كابوس مُزعج.

نهضت بكل حماس لأذهب لعملي الرائع، وها أنا أجلس بكل هدوء بمكتبي وأتلقى اتصال من سكرتيرتي الخاصة تُخبرني عن تلك الموظفة الجديدة والتي لديها موعد لأسمح لها بالدخول.

تدخل الفتاة بإبتسامة رائعة، وأظنني رأيتها من قبل ولكن لا أذكر أين، فأسألها عن اسمها فتُجيب..

«أُدعى روزيانا...!».

***